



صفوة البيان لمعاني القرآن

تفسير القرآن الكريم لفضيلة الأستاذ
الشيخ حسنين محمد مخلوف

مفتي الديار المصرية السابق وعضو جماعة كبار العلماء

لجنة الاحتفالات بمقدم
القرن الخامس عشر الهجري

دولة الإمارات
العربية المتحدة

This file was downloaded from QuranicThought.com


THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

« الرَّحْمنُ ، عَلَّمَ القرآنَ ، خَلَقَ الإنْسَانَ ، علَّمهُ البيانَ » فله الحمد على جليل نعمه ، وله الشكر على وفير مننه ، والصّلاة والسلام على أشرف خلقه ، وصفوة أنبيائه ورسله ، سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وأصحابه ومن والاه .

أما بعد ، فقد قال الله تبارك وتعالى :

« وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ ، وَهُدًى وَرَحْمَةً وبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ » (١) .

ذلك هو القرآنُ الكريم ، الذى قال فيه ربُنا جلَّ شأْنُه : « لقَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نورٌ وكتابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ، ويُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بإذْنِهِ ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » (٢) .

وأمرنا الله باتّباع هديه والتمسّك بأحكامه ، وفى ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أبشروا فإنّ هذا القرآن طرفه بيد الله ، وطرفه بأيديكم ، فتمسّكوا به فإنكم لن تهلكوا ولن تضلوا بعده أبدا » (٣) .

ومن نعم الله تبارك وتعالى أن جعل لنا فى تلاوة القرآن الكريم حقّ التلاوة ، مع العمل به واتّباع أحكامه ، المثوبةَ والجزاء الأوفى . وجاءت البشرى بتلك المثوبة الإلهية فى الأحاديث النبوية الشريفة ، ومنها عن أنسٍ رضى الله عنه (مرفوعا) : « من قرأ القرآن يقوم به آناء الليل والنهار ، يُحلّ حلاله ويحرّم حرامه ، حرّم الله لحمه ودمه على النّار ، وجعله مع السفرة ، الكرام البررة ، حتى إذا كان يوم القيامة كان القرآنُ حجّةً له » (٤) .

وعن علىّ رضى الله عنه (مرفوعًا) : « البيت الذى يُقرأ فيه القرآن يتراءى لأهل السَّماء كما تتراءى النجوم لأهل الأرض » (٥) .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تلقّى الصحابة رضوان الله عليهم كيفيّة تلاوة القرآن الكريم ، وعنهم تلقى السّلف الصالح ذلك . فكانت قراءتهم هى ترتيل وتدبّر ، واتعاظ وتذكّر ، وأدب وخشوع ، ورهبة وخضوع ، ورغبة ورجاء ، وخشية وبكاء ، لعظيم معرفتهم بالله ، وفهمهم لكتابه ، وتدبّرهم لآياته ، وتفكّرهم فى حكمه وأسراره .

---

(١) آية ٨٩ من سورة النحل .
(٢) الآيتان ١٥ . ١٦ من سورة المائدة .
(٣) رواه الطبرانى عن جبير رضى الله عنه .
(٤) أخرجه الطبرانى فى الصغير .
(٥) أخرجه البيهقى .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

قال تعالى : « كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ ، لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ »[(١)] .

ومن نعم الله تعالى على أهل هذا الزّمان ، تيسير طباعة القرآن الكريم ونشره . فأصبح المصحف الشريف فى متناول الملايين من المسلمين . كما اتسع مجال إذاعة القرآن الكريم بأصوات القراء ، فدخل إلى كل بيت من بيوت المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، صوتُ قراء القرآن الكريم على موجات الأثير بالترتيل والتجويد لآى الذكر الحكيم . وفى السنوات الأخيرة مع تقدم العلم والاختراع وانتشار الأجهزة العلمية ، أصبحت تسجيلات القرآن الكريم المسموعة والمرئية في متناول كثير من الناس ، ويُستمع إليها في البيوت والأماكن الخاصة والعامّة .

مثل هذا التطور والاتساع فى انتشار المصاحف الشريفة ، وإذاعة القرآن الكريم ، لا بدّ وأن يواكبه جهدٌ متزايد فى مجال تيسير فهم معانى القرآن الكريم لجمهور الناس وعامتهم فضلاً عن كثير من الخاصة ، وذلك لمساعدتهم على حسن تدبّر معانى كتاب الله ، ومن ثَمَّ تلاوته حقّ التلاوة . وقد وصف حجّة الإسلام الإمام الغزالى شروط التلاوة الحقة فأبلغ حيث قال : « تلاوة يشترك فيها اللسان والعقل والقلب . فحظّ اللسان : تصحيح الحروف بالترتيل ، وحظّ العقل : تدبّر المعانى ، وحظّ القلب : الاتّعاظ والتأثّر ، بالانزجار والائتمار . فاللسان يرتّل ، والعقل يترجم ، والقلب يتّعظ » .

وممّا يساعد على تحقيق ذلك الغرض : إيراد تفسير للقرآن الكريم على هوامش المصحف الشريف ، بنسق يسهل معه الرجوع إلى التفسير أثناء التلاوة . وأن يكون التفسير سهلاً شاملاً وموجزًا ويعين التّالى على فهم الآيات وتدبّر المعنى فى يسر ودون عناء .

لذلك رأينا ، بمناسبة مطلع القرن الهجرى الخامس عشر ، أن نقدم لإخواننا المسلمين مع المصحف الشريف ، التفسير المعروف باسم « صفوة البيان لمعاني القرآن »[(٢)] . الذي وضعه العالم العلاّمة الأستاذ الجليل فضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف[(٣)] ، المفتى السابق للديار المصرية وعضو جماعة كبار العلماء بالأزهر

---

(١) الآية ٢٩ من سورة : ص .

(٢) صورت الطبعة الأولى منه بمصر فى عام ١٣٧٧ هـ الموافق ١٩٥٧ م .

(٣) ولد بباب الفتوح بالقاهرة عام ١٨٩٠ م وحفظ القرآن الكريم بالأزهر الشريف وأتم العلوم الأزهرية والتحق بالقسم العالى بمدرسة القضاء الشرعى وتخرج بتفوق فى عام ١٩١٤ م واشتغل بالتدريس بالأزهر الشريف ، ثم عين قاضيًا شرعيًّا وتدرج فى مناصب القضاء إلى أن عين نائبًا للمحكمة العليا الشرعية عام ١٩٤٤ م ، ثم عين مفتيًا للديار المصرية عام ١٩٤٥ م ثم رئيسًا للجنة الفتوى بالأزهر الشريف .

وفضيلته من رواد الفكر الإسلاميّ فى عصره ومن أئمة الباحثين فى علوم الدين واللغة ويعتبر من العلماء العاملين لما له فى خدمة الإسلام من أعمال وآثار ذات نفع عميم للمسلمين . فكما كان له فى مجال القضاء الشرعى الكثير من الأحكام التى لها صفة المبادئ والقواعد التى يُرْجَعُ إليها بعدَه فى مجالها ، فإنّ له العديد من الفتاوى ، والبحوث الإسلامية والمؤلفات الدينية ، والمقالات التى اتسمت بطابعها الخاص وتأثيرها فى عصره . كما عمل على إحياء كثير من كتب التراث الإسلامى النافعة بالشرح والتحقيق .

وقد انتشرت آثاره فى حينها ـ ومازالت تنتشر ـ فى جميع أقطار العالم الإسلامى . جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الشريف ، وعضو مجمع البحوث الإسلامية بمصر ، وعضو المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة .

ذلك لأن هذا التفسير يفى بالغرض المنشود ، حيث توافرت به عدة خصائص منها على سبيل الذكر الخصائص التالية :

١ ـ أنه يعنى بالجانب اللغوي عناية خاصة ، باعتبار أن فقه لغة القرآن الكريم هو المدخل الطبيعى إلى حسن فهم معانيه . وقد تناول الكلمة القرآنية فى أبعادها النحوية والصرفية والبلاغية تناولاً مُجيدًا فى وفاء مادته ، مُبَسَّطًا فى أسلوب عرضه . فهو يجمع إلى سهولة المأخذ ، بُعْدَ الغَوْر ، ودقّةَ المعنى ، وحسنَ اختيار الكلمات ، فهو بهذا ضربٌ من الأدب الرفيع إلى جانب ما حواه من علم غزير .

٢ ـ أنه يسير وفق منهج السلف الصالح فى التفسير . فهو كثيرًا ما يفسر القرآن بالقرآن أو بما ورد عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو التابعين . متحرِّيًا البعد عن الإسرائيليات التى شابت كثيرًا من التفاسير ، متجنِّبًا الآراء الشاذة والخلافات المذهبية والآثار المشبوهة والتأويلات الباطلة .

٣ ـ أنّه أشار فى المواضع المناسبة ، إلى عدد من العلوم والمعارف التى شملها القرآنُ الكريم ، كالعقيدة والفقه ، من عبادات ومعاملات ، وكذلك الأخلاق والسلوك ، وذلك فضلاً عن عدد من علوم القرآن التقليدية : كالقراءات ، والناسخ والمنسوخ ، والمكيّ والمدني وترتيب السور والآيات ، وأسباب النزول وغيرها وبالقدر الذي يستلزمه التفسير ، ويحتاج إليه إيضاح المعاني .

كما أن هذا التفسير يشير أحيانًا ـ وفى المواضع المناسبة ـ إلى بعض العلوم الحديثة ، ممّا يساعد على إيضاح بعض وجوه الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم . كما أنه كثيرًا ما يستعين على تقريب المعانى العميقة بضرب الأمثال وذكر الأشباه ، وسَوْقِ فرائد الحكم ، ومخاطبة العقل بما ألفته العقول ، وتواضعت عليه الأفهام .

فلهذه الخصائص التى تميَّز بها هذا التفسير رأينا أنه يصلح أكثر من غيره للشباب ، ولجمهرة المثقفين ، ولا يصعب على مَنْ هم دونَهم من عامة المسلمين ، ولا يَقْصُرُ عن حاجة الخاصة من العلماء والباحثين .

واللهَ سبحانه نسأل أن يجزي صاحب هذا التفسير خير الجزاء ، وأن ينفع به عامة المسلمين وخاصَّتهم ، وأن يوفقنا وإياهم للسير على هدي كتابه ، والتمسُّك بأحكامه ، وأن يهدينا جميعًا إلى سواء السبيل .

محمد عبد الرحمن البكر

رئيس اللجنة الوطنية لاحتفالات القرن الهجرى الخامس عشر
وزير العدل والشئون الإسلامية والأوقاف

أبوظبى فى : ٢٥ من شوال ١٤٠١ هـ

الموافق ١٩٨١/٨/٢٥م

This file was downloaded from QuranicThought.com



مقدّمة الطبعة الأولى[1]

الحمد لله الذي أنزل القرآن هُدى ونوراً ، وأرسل به رسوله الأعظم مبشّراً ونذيراً ؛ فبلّغ الرسالة ، وأدّى الأمانة ، واهتدى به من استمسك بهدْيه فسَعد ، وضلّ عن الحقّ من أعرض عنه فبَعد . وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده ، تقدّست ذاته ، وتنزّهت صفاته ، عما لا يليق بجلاله ، ولا ينبغي لكماله . وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه ومجُتباه ، صلىّ الله عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن والاه .

أمّا بعد ، فإن القرآن العظيم كتابُ الله ، أوحى به إلى أفضل خلقه وأكمل رسله ، بلاغاً للناس ولينذَروا به ، وليعلموا أنما هو إله واحدٌ ، وليذكّرَ أولُو الألباب ، وأودعه من العقائد والعبادات ، والأحكام والحكم ، وفنون العلوم وأصول الفضائل ؛ ما به قِوَامُ الملّة الكاملة ، والأمة الفاضلة ، والدولة الراشدة ، وما به سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة . فكان أفضل الكتب السماوية وأجمعَها للخير ، وأوفاها بحاجة البشر ، وأبقاها على الدهر : مصدّقاً لها ومُهيمناً عليها . وكان دعوةَ الحق لسائر الخلق إلى يوم الدين . لا قبول للإيمان إلا به ، ولا نجاة في الآخرة إلا باتّباعه ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ .

* * *

وقد أنزله الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، بلسان عربيّ مبين؛ كما قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ . وكان قومه أئمة البيان وفرسان البلاغة وأعلام الفصاحة ؛ فبهرهم بآياته البيّنة ، وحُججه الدامغة ، وحِكمه البالغة ، وأخباره الصادقة ، وفصاحة لفظه ، ورصانة نَظْمِه ، وبلاغة أسلوبه ؛ فخرّوا له سُجّداً ، وأذعنوا له خُضَّعاً ، وأيقنوا أنه كلام رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلب رسوله العظيم ؛ ليكون من المنذرين . إلاّ مَن فسدت فطرته ، وضعفت مُنّته ، واتخذ إلهه هواه ؛ فجحد عناداً ، وأبى استكباراً أن يؤمن به ويُذعن له . فما إنْ تحدّاهم بقول الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَو كانَ بعضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ ، وبأن يأتوا بسورة من مثله ، فصاحةً وبلاغة ، ونظماً وحُكْماً ، وأحكاماً وأمثالاً ، ومواعظ وقصصاً ، وأغراضاً ومرامي : حتى ألقوْا باليدين عجزاً ، وولّوا الأدبار هزيمة ، ونكصوا على الأعقاب هرباً .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

فهو المعجزةُ الكبرى ، الدالةُ على صدق الرسالة ، والدعوةُ العظمى من الله تعالى إلى التوحيد والإسلام ، القائمة ما بقي الدهر . وقد تولّى الله حفظه من التحريف والتبديل ، والتغيير والمعارضة ؛ كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وعَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾ ؛ فلا يزيد فيه المفترون ولا ينقصون .

وها هو ذا ، قد مضى من وقت نزوله أربعة عشر قرناً ، ولا يزال كما وعد الله محفوظاً في الصدور ، مقروءًا بالألسنة ، مكتوباً في المصاحف كما أُنْزِلَ ، لم يُغيَّر فيه عمّا أنزل حرف ولا كلمة ولا ترتيب . ولم يستطع أحد – كائناً من كان – أن يعارضه بمثله أو بما يدانيه ؛ وسيبقى محفوظاً كما أنزل إلى آخر الدهر ، إيماناً بصدق الخبر ، والوعد الحق .

وكيف لا ؟ وهو حجَّة الله على خلقه إلى انقضاء الدنيا ، ودعوتُه القائمةُ إلى آخر الزمان ، ورسالته العظمى إلى البشر ؛ ما بقي التكليف بالشريعة المحمدية ، الخاتمةِ لجميع الشرائع السماوية .

* * *

ومن عناية الله به ورحمته بخلقه ، أن جعل القرآن محفوظاً في كل العصور بالتواتر الصادق القاطع ، يرويه الخلف عن السلف بألفاظه وحروفه المنزلة ، وكيفيات أدائه المرويّة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، بما لا مزيد عليه في الحفظ والضبط . ووفّق له في كل عصر حفّاظاً متقنين ، وأئمة ثقات اختصوا بحفظه ونقله وروايته ، ودراسة علومه وفنونه ، وتفسيره روايةً ودرايةً ، وتدوين تفسيره من جهة أحكامه ، ومن جهة إعرابه ، ومن جهة بلاغته وإعجازه ، ومن جهة قَصصه وأخباره ، ومن جهة أمثاله ومواعظه ، ومن جهة تعاليمه ومبادئه ، ومن جهة قراءاته ، ومن جهة ألفاظه ولغته ؛ إلى غير ذلك من الجهات .

وقد أيقظ القرآن الفكرَ الإنساني من رقاده ، وحرَّكه من جموده ، وأزاح عنه رَين الجهالة ، ووجّهه إلى العلم ، وعلّمه سلوك مناهج الحياة . وفتح للعقول أبواباً من العلوم ، وسَلَك بها سُبلا من المعارف لم يكن لها عهد بها من قبل ؛ فكانت نوراً وهدىً للناس في سائر العصور . وكان القرآن – كما ورد – مأدبة الله لخلقه ، يطعم منها من يشاء بما يشاء ، ويُفيد منها كلّ إنسان بقدر استعداده ، وتهيؤ فطرته لقبول فيْضه .

وكان المسلمون – بدراسة هذه العلوم وتدوينها ، وإرساء قواعدها ، وتقرير أحكامها ، وتفريع أصولها – الرُّوادَ الأُوَلَ في مجال البحث ، والقادةَ الفاتحين في مجال العلم والعرفان .

* * *

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه والتابعين : حثُّ المسلمين في كل العصور ، على أن يتّخذوا إمامهم القرآن ، يهتدون بهديه ، ويخضعون لحكمه ، ويجتهدون في تعلّمه ، وتفهّم أسراره ، وتدبر معانيه ؛ كما يرشد إليه قولُه تعالى ﴿ ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وقولُه تعالى : ﴿ إنَّ هَـٰذَا القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ ، وقولُه تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ ،

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وقولُه تعالى : ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ ، وما رواه أبو هريرة مرفوعاً : (أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه) .

وإعرابُه : معرفةُ معاني ألفاظه ؛ لا الإعراب المصطلح عليه عند النُّحاة المقابل لِلَّحْنِ ، لأن القراءة مع فقده ليست قراءة ولا ثواب لها . والتماسُ غرائبه : طلبُ معرفة هذه المعاني من مصادرها ، وهي الرواية واللغة الفصحى .

وفى القرطبي عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قرأ القرآن فلم يُعربه وُكّل به مَلَكٌ يكتب له كما أنزل بكل حرف عشر حَسنات . فإن أعرب بعضَه وُكّل به ملكان يكتبان له بكل حرف عشرين حسنة . فإن أعربه وُكل به أربعة أملاك يكتبون له بكل حرف سبعين حسنة) .

وعن إياس بن معاويةْ : مَثَلُ الذين يقرأون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره ، كمَثَلِ قوم جاءهم كتاب من مليكهم ليلاً وليس عندهم مصباح ؛ فتداخلتهم رَوعةٌ ولا يدرون ما في الكتاب ، ومثل الذي يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرأوا ما في الكتاب .

فقارئ القرآن وسامعُه ينبغي له أن يعرف تفسير ما يحتاج إلى التفسير من آياته ؛ إذ كانت هي الصراط المستقيم ، وهي النور والهدى ، وهي الحجة والبرهان ، وهي أصل كل علم ومنبع كل خير ، وأن يلتمس حقائق مفرداته ومعانيها المستعملة فيها ، التي يتوقف على معرفتها فهم آياته ، بل الفهم في كل علم ؛ إذ ألفاظ القرآن كما قال الراغب : « لُبُّ كلام العرب وزبدته ، وواسطتُه وكرائمه ، وعليها اعتماد الفقهاء في أحكامهم ، والحكماء في حِكَمهم ، وإليها مفزعُ حُذّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم » . وكلها في الفصاحة بالمحلِّ الأرفع ، ولها الصدارة التي لا تُدفع ، ومنها ألفاظ لا يقف على معانيها إلا الراسخون في اللغة ، المتمرّسون بأساليب العرب ولهجاتهم ؛ مثل : حناناً وأبًّا والبَحِيرة والسائبة والوصيلة والحامي وغسلِين وسِجّين وأوّاه وافتح بيننا ويؤفكون ويُصرفون وسويًّا وكأيّن والقُمّل والمَثُلات والنَّكال وأغْطَش وأَحْوَى وهُمَزَةٍ لُمَزَةٍ والفَلَق والغسَق وضَبْحاً وكَنُود وفاكِهين ، ونحو ذلك ؛ وتسمىً « غرائب القرآن » .

وقد عُني بشرحها وبيان معانيها الوضعية ، وما أريد بها في الآيات المشتملة عليها : أئمةُ اللغة والتفسير ؛ كأبي عُبيدة ، وابنِ دُريد ، والزجّاج ، والفرّاء ، والأخفش ، وابن الأنباري ، والرّاغب ، والسّجستاني ، وأضرابهم . وفي ذلك مطوَّلات ومختصَرات .

* * *

وقد رَغب إليّ كثيرٌ من طُلاّب العِلم : أن أضع تفسيراً للقرآن الكريم ، واضح العبارة ، داني المجتَنَى ، مقتصراً على ما لا بدّ من تفسيره من الآيات والمفردات ، يُستَغْنَى به عن استيعاب المطوَّلات ـ وفيها من تشعّب المباحث وكثرة الأقوال ، ما قد يعسُر معه استخلاص المعاني القرآنية منها على من لم يألف أساليبها واصطلاحاتها ـ كما يُستغنَى به عن المختصرات التي يَدِقّ على الأذهان فهمها ، وتنبو عنها إشاراتها . فاَستخرت الله تعالى على ضعفي وصعوبة المقام في وضعه ، مستعيناً بحوْله وقوّته ، وهو خير معين ، متوكلاً

This file was downloaded from QuranicThought.com


THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

عليه ، وهو نعم الوكيل . مبتهلاً إليه عزّ شأنه أن يوفّقني للصواب ، ويحفظني مما يُذَمّ ويُعاب ، ويُقيل عثرتي يومَ الحساب .

وبدأت بشرح مفردات القرآن شرحاً وافياً على ترتيب النظم الكريم ، لا على ترتيب المعاجم اللغوية ؛ يوقف منه على المعنى بسهولة أثناء التلاوة أو السماع ، مع بيان معنى بعض الآيات التي انتظمت هذه المفردات .

ولدى إعادة النظر فيه ، وجدتُ الحاجة ماسّة إلى تفسير آيات أخرى على النّحو الذي قصدت ، وإن لم تشتمل على غريب القرآن . فضممت تفسيرها إلى ما بدأت به . واكتمل من الجميع هذا التفسيرُ الذي سميته : « **صفوة البيان ، لمعاني القرآن** » راجياً من الله تعالى النفعَ به ؛ كما نفع بأصوله ، والمثوبةَ عليه يوم الجزاء . وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، إنه تعالى خير مرجوّ ، وأكرم مسؤول .

راجي عفو ربّه الرءوف

حسنين محمد مخلوف

مُفتي الديار المصريّة السّابق وعضو جماعة كبار العلماء

This file was downloaded from QuranicThought.com


وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ĀNIC THOUGHT

مُقَدّمَة

تشتمل على مسائل ينبغي معرفتها

الأولى – في المكيّ والمدنيّ :

أشهر الأقوال في تعريف الْمَكِّيِّ والمدنيّ : أن المكيّ ما نزل قبل الهجرة في مكة أو في ضواحيها ؛ كمنى وعرفات والحُديْبِيَةَ . ومنه ما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغها النبي صلىّ الله عليه وسلم .

والمدني : ما نزل بعد الهجرة في المدينة أو في ضواحيها ؛ كبدْر وأُحُد وسَلْع . ومنه ما نزل بمكة عام الفتح ، أو عام حَجّة الوَداع ، وما نزل في سَفر من الأسفار بعد الهجرة .

والمرجع في معرفة المكيّ والمدنِيّ إلى حفظ الصحابة والتابعين . ومعرفتهُ تُعين على معرفة تاريخ الناسخ والمنسوخ .

الثانية – في معنى السورة :

السورة طائفة من القرآن، لها ابتداء وانتهاء ، وترجمة باسم خاص بها أو بعدة أسماء ، عُرف المشهور منها بالتوقيف من النبي صلىّ الله عليه وسلم . مأخوذة من سور المدينة ؛ لاحتوائها على فنون من العلوم ، احتواءَ سُور المدينة على ما فيها ، أو لارتفاع رتبتها كارتفاعه . أو من السُّورة ، وهي المنزلة الرفيعة . أو من التّسَوُّر ، وهو العلوّ والارتفاع ؛ لارتفاعها بكونها من كلامه تعالى .

وأجمعوا على أن عدد سُوَر القرآن مائة وأربعَ عشرةَ سورة . وَمَنْ عدّها مائة وثلاث عشرة جعل الأنفال والتوبة سورة واحدة .

والحكمة في تسوير القرآن سوَراً أن يكون أنشط للقارئ ، وأبعث على التحصيل ، وأن الجنس إذا انطوت تحته أنواع كان أحسن من أن يكون باباً واحداً . وفي التسوير إشارةٌ إلى أن كلّ سورة نمطٌ مستقل .

الثالثة – في ترتيب الآيات والسُّوَر وتسميتها :

ترتيب الآيات في السُّوَر بتوقيف منه صلىّ الله عليه وسلّم ، وبأمره إجماعاً . وترتيبُ السوَر توقيفيّ عند الجمهور . قال أبو بكر الأنباري : « إن جميع القرآن الذي أنزله الله تعالى ، وأمر بإثبات رسمه ، ولم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

ينسخه ، ولا رفع تلاوته بعد نزوله ، هو هذا الذي بين الدّفتين ، الذي حواه مصحف عثمان ، وأنه لم ينقص منه شيء ولا زيد فيه شيء ، وأن ترتيبه ونظمه ثابت على ما نظمه الله ورتبه عليه رسوله من آي السُّور ، لم يقدَّم من ذلك مؤخَّر ، ولا أخِّر منه مقدَّم . وأن الأمة ضبطت عن النبي صلىّ الله عليه وسلّم ترتيب آي السور كلها ومواضعها ، وعرفت مواقعها : كما ضبطت عنه نفس القراءات ، وذات التلاوة » .

وقال البغويّ : « إن الصحابة جمعوا بين الدّفتين القرآن كما أنزله الله على رسوله ، من غير أن زادوا فيه أو نقصوا منه شيئاً ؛ خوف ذهاب بعضه بذهاب حَفَظته : فكتبوه كما سمعوه من رسول الله صلىّ الله عليه وسلم ، من غير أن قدّموا شيئاً أو أخّروا شيئاً ، أووضعوا له ترتيباً لم يأخذوه منه صلىّ الله عليه وسلم . وكان رسول الله يلقّن أصحابه ويعلّمهم ما نزل عليه من القرآن ، على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا ؛ بتوقيف جبريل عليه السلام إياه على ذلك ، وإعلامه عند نزول كل آية ، أنّ هذه الآية تُكتب عقب آية كذا في سورة كذا » . ومنه يعلم أن أسماء السور توقيفية .

وقال ابن الحصّار : « ترتيب السُّور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحْي ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ضعوا آية كذا في موضع كذا . وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف » .

الرابعة – في المُحْكَم والمتشابه :

من آيات القرآن آياتٌ محكَمات هنّ أمّ الكتاب وأصله ، وأُخَرُ متشابهات .

والمحكَم : ما عُرف المعنى المراد منه . والمتشابه : ما استأثر الله تعالى بعلمه ؛ كقيام الساعة ، والحروف المقطّعة في فواتح السُّور .

وقيل : المحكَم ما لا يحتمل من التأويل بحسب وضع اللغة إلاّ وجهاً واحداً . والمتشابه : ما احتمل أوجهاً عديدة واحتاج إلى النظر ؛ لحمله على الوجه المطابق .

وقيل : المحكَم ما اتضح معناه . والمتشابه بخلافه . وهناك أقوال أخرى في تفسيرهما . وسيأتي لذلك مزيد بيان أول سورة آل عمران .

وجعل الخطابي المتشابه على ضربين : أحدهما ما إذا رُدّ إلى المحكَم واعتُبر به عُرف معناه . والآخر ما لا سبيل إلى الوقوف على حقيقته . فمن المتشابه ما يمكن الاطلاع على معناه ، ومنه ما لا يعلمه إلا الله تعالى .

ومن المتشابه آيات الصفات ، نحو : ﴿ الرَّحْمَـٰنُ على العَرْشِ استَوى . كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ ولتُصنَع على عيني . يدُ الله فوق أيديهم . والسموات مطويات بيمينه ﴾ . ومنه أحاديث الصفات .

ومذهب جمهور أهل السُّنة – ومنهم سفيان الثّوري وابن المبارك وابن عُيينة ووكيع ، والأئمة الأربعة – أنه يجب الإيمان بها وتفويض علم معناها المراد منها إلى الله تعالى ، وترك تأويلها مع تنزيهه تعالى عن حقيقتها ؛ لاستحالة مشابهته تعالى للحوادث ؛ قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

عن أمّ سَلَمَةَ – رضي الله عنها – في تفسير قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَـٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ : الكَيْف غير معقول ، والاستواء غير مجهول ، والإقرار به من الإيمان ، والجحود به كفر .

وعن مالك فيه : الكيف غير معقول ، والاستواء غير مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة .

وعن محمد بن الحسن : اتفق الفقهاء كلهم على الإيمان بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه .

وقال ابن الصلاح : على هذه الطريقة مضى صدر الأمة وساداتُها ، وإيّاها اختار أئمة الفقهاء وقادتها ، وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامُهم .

وقال إمام الحرمَيْن أخيراً في الرسالة النظامية : الذي نرتضيه ديناً ، وندين به عقداً ، اتباع سلف الأمة ؛ فإنهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها .

وممن ذهب إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية ، والإمام ابن القيّم ومن تبعهما ، وكثير من المفسرين كالبغويّ والرازي والجلالين والآلوسي ، وصاحب فتح البيان ، وغيرهم .

وذهبت طائفة من أهل السُّنة إلى تأويل هذه الآيات والأحاديث الواردة في الصفات بما يليق بجلاله تعالى ، مع تنزيهه عن حقيقتها ؛ وهو مذهب الخَلَف .

وقال الإمام الرازي : إن الذي اختاره الأئمة المحقّقون من السلف والخلف ترك الخوض في تعيين التأويل ، بعد إقامة الدليل القاطع على أن حمل اللفظ على ظاهره محال .

ومن المتشابه : الحروف المقطّعة في أوائل السُّوَر ؛ فقد افتُتحت تسع وعشرون سورة من القرآن بنصف أسماء حروف المعجم ؛ وهي : الألف واللام ، والميم والصاد ، والراء والكاف ، والهاء والياء ، والعين والطاء ، والسين والحاء ، والقاف والنون .

فالمبدوء منها بالألف واللام ثلاث عشرة ، وبالحاء والميم سبع ، وبالطاء أربع ، وبكل من الكاف والياء والصاد والقاف والنون واحدة . وبعض هذه الحروف المبدوء بها أحادي ، وهو : صٓ ، قٓ ، نٓ . وبعضها ثنائي ، وهو : طه ، وطسٓ ، ويسٓ ، وحمٓ . وبعضها ثلاثي ، وهو : آلٓمٓ ، و الرٓ ، وطسٓمٓ . وبعضها رباعي ، وهو : آلٓمٓصٓ ، والٓمٓر . وبعضها خماسي ، وهو : كٓهيعٓصٓ ، وحمٓ عٓسٓقٓ . ولا تزيد على ذلك .

والمختار فيها – كما ذكره الجلال في الإتقان – : أنها من الأسرار التي لا يعلمها إلا الله تعالى .

وعن أبي بكر الصديق : في كل كتاب سِرّ ، وسِرُّه في القرآن أوائل السور .

وعن ابن عباس : عجزت العلماء عن إدراكها . وعن الشَّعبيّ : هي سِرّ الله فلا تطلبوه . وممن ذهب إلى ذلك عمر وعثمان وعليّ وابن مسعود وسفيان والربيع .

وخاض في معناها آخرون ؛ فقال بعضهم : إن كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه تعالى ؛ والعرب تنطق بالحرف الواحد ، تدلّ به على الكلمة التي هو منها . وقيل : هي أسماء للسوَر . قال الزَّمَخْشَريّ : وعليه إطباق الأكثر .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

وأما الحكمة التي اقتضت إيراد هذه الحروف في أوائل السُّوَر مع قطع النظر عن معانيها في أنفسها فقيل : إنما ذكرت في مفتتح السور بياناً لإعجاز القرآن ، وأنه كلمات مركبة من حروف الهجاء التي تتألف منها الكلمات التي ينطقون بها ، وقد عجز الخلق عن معارضته ؛ فلو لم يكن وحياً من عند الله تعالى لم تتساقط مقدرتهم دون معارضته . حكاه الرازي عن المبرد وجمع من المحققين ، وحكاه القرطبي عن الفراء ، ورجّحه الزمخشري ، وإليه ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ المِزِّيّ .

وقد ذكر العلماء لوقوع المتشابه في القرآن فوائد ، منها في المتشابه الذي يمكن علمه : أنه يوجب مزيد المشقة في الوصول إلى المراد ، وهي توجب مزيد الثواب . ومنها : ظهور التفاضل وتفاوت درجات الخلق في معرفة القرآن ؛ إذ لو كان كله محكَماً لا يحتاج إلى تأويل ونظر ، لاستوت منازل الخلق فيه ، ولم يظهر فضل العالم على غيره . ومنها في المتشابه الذي لا يمكن علمه : ابتلاء العباد بالوقوف عنده ، والتوقف فيه ، والتفويض والتسليم ، والتعبد بالاشتغال به من جهة التلاوة ، وإقامة الحجة عليهم ؛ لأنه لما نزل بلسانهم وعجزوا عن الوقوف على معناه مع بلاغتهم وأفهامهم ، دلّ على أنه منزّل من عند الله تعالى .

الخامسة – في أقسام القرآن :

أنزل الله تعالى القرآن بلسان عربي مبين ، وجاء فيه في مجادلة المنكرين ومراغمة الجاحدين ، وفي تقرير الحقائق ، والكشف عن الدقائق ، وبيان عظيم قدرته تعالى ، وبديع صنعته ، وبالغ حكمته ، وعظمة ملكه ، وسننه في خلقه – بالحجج الدّامغة ، والبراهين الساطعة ، يصرّف الآيات للناس لعلهم يفقهون ، ويضرب لهم الأمثال لعلهم يتذكّرون ، ويؤكد لهم الأخبار بمختلف الأقسام على أسلوب فصحاء العرب في مخاطباتهم ومحاوراتهم ؛ فقد كانوا إذا أرادوا توكيد الأمر وتحقيقه ، أقسموا عليه بالعظيم الخطير الشأن ، أو الكثير النفع ، أو الظاهر الفضل .

وتوكيد الكلام بالقَسم إذا اقتضاه الحال أسلوبٌ بليغ رصين . ولله تعالى أن يُقسم بما شاء . فأقسم تعالى بنفسه في القرآن في سبعة مواضع ؛ لتقرير وجوب الإيمان به ، والطاعة له . وأقسم بأفعاله العجيبة ، ومصنوعاته البديعة ، فقال : ﴿ والسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ، وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴾ . وقال : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى – وَالطُّورِ ، وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ – وَالضُّحَى ، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى – وَالْفَجْرِ ، وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ . والقَسَمُ بها في معنى القَسَم به تعالى ؛ إذ هو صانعها ومبدعها .

قال ابن القيمّ : إنه يُقسم في القرآن بأمور على أمور ؛ فيقسم بذاته الموصوفة بصفاته ، وبآياته المستلزمة لإثبات ذاته وصفاته ، ويُقسم ببعض مخلوقاته ؛ للدلالة على أنها من عظيم آياته .

وقد يأتي في القرآن بالقَسَم الظاهر كقوله تعالى : ﴿ والضحى ، وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى – تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾ . وقد يأتي بنحو قوله : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ﴾ وبنحو قوله : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ .

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

وقد أقسم تعالى على التوحيد ، وعلى أن القرآن حق ، وعلى أن الرسول حق ، وعلى الوعد والوعيد والجزاء ، وعلى حال الإنسان وطبيعته ، وكثيراً ما يُذكر جواب القَسَم ، وقد يحذف للعلم به ، أو لوجود ما يدلّ عليه .

وبالتأمل في كل قَسم من أقسام القرآن تظهر المناسبة الدقيقة بينه وبين المُقَسم عليه ، وهو نوع بديع من وجوه بلاغة القرآن .

السادسة – في الاستعاذة :

لما كانت الاستعاذة بالله من الشيطان الرّجيم تطهّر القلب ، وتطرد عنه الوساوس والهـواجس ، وخواطر السوء ؛ كان من السُّنة الاستعاذة عند إرادة القراءة خارج الصلاة ؛ قال تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾. فيقول القارىء : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ على ما اختاره مالك وأبو حنيفة والشافعي . أو أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم ؛ على ما اختاره أحمد ، رضي الله عنهم . أي ألتجىءُ إلى لله تعالى ، وأستجير به ، وأتحصّن مما أخشاه من الشيطان الطريد من رحمته تعالى ؛ يقال : عُذْتُ بفلان ، واستعذت به ؛ أي التجأت إليه وتعلّقت به . ومنه : أعيذك بالله أن تفعل كذا . ومعاذَ الله ، وعِياذَ الله .

السابعة – في البسملة :

ذهب كثير من القراء والأئمة إلى أن البسملة ليست آية من الفاتحة ، ولا من غيرها من السوَر ، وإنما هي آيةٌ واحدة من القرآن ، أنزلت للفصل بين السّور والتبرك بها في الابتداء . وإليه ذهب أبو حنيفة ومالك . وذهب آخرون إلى أنها آيةٌ من الفاتحة ، ومن كل سورة غيرِ براءة . وإليه ذهب الشافعي ، وأحمد في إحدى الروايتين عنه . وهذا كله في غير بسملة النمل « آية ٣٠ » فإنها جزء آية باتفاق .

الثامنة – في التأمين :

يُندب للقارئ بعد الفراغ من الفاتحة أن يقول « آمين » ؛ مفصولةً عنها بسكتة خفيفة ، ومعناها : استجب يا الله ، أو افعل . وليست من القرآن باتفاق ؛ ولذا أجمعوا على عدم كتابتها في المصاحف .

This file was downloaded from QuranicThought.com





صفوة البيان لمعاني القرآن

This file was downloaded from QuranicThought.com